"في التسليم للعترة الطاهرة"

في أسلوبية الخطاب الإبلاغي

مناجاة الإمام محمد الجواد عليه السلام للاستخارة اختيارًا .

Eloquent Discourse Stylistics

Supplication of Muhammad Al-Jawad in Seeking Guidance From Allah as a Nonpareil

م. د. صالح مجيد علي الخزرجي

Lectu. Dr. Salh Majeed Ali Al-Khazraji

العراق/ جامعة وارث الأنبياء/ كلية العلوم الاسلامية

College of Islamic Sciences\University of Warth Al-Anbya\ Iraq

Saleh.majid@uowa.@du.

خضع البحث لبرنامج الاستلال العلمي

Turnitin - passed research

الملخص

بعد هذه الرحلة القصيرة ونحن نتجول في رحاب الدوحة العلوية متمثلة بمناجاة الإمام محمد الجواد ﷺ خلصنا إلى ما يلي

✿أوردنا نص مناجاة الإمام ثم أشرنا إلى العنوان بتعريف مبسط للأسلوبية التعبيرية الوصفية التي حاولنا دراسة المناجاة عبرها، وذلك في الفقرة الأولى.

✿في الفقرة الثانية عرفنا (المناجاة) لغة وإصطلاحا ثم تناولنا وظائف الأداء الأسلوبي للمناجاة وهي على ثلاثة أقسام:

-الوظيفة التصويرية.

- الوظيفة التفاعلية.

- الوظيفة النصية.

وبعد تعريف كل وظيفة كان الإستشهاد بنص خطاب الإمام.

✿في الفقرة الأخيرة أشرنا إلى مستويات الأداء الإسلوبي الخمسة:

المستوى المعجمي، والمستوى الصوتي، ثم التركيبي، فالتصويري، وأخيرا المستوى البنائي، وكما تقدم فبعد نبذة تعريفية مختصرة عن كل مستوى استشهدنا لها بما يناسبها من خطاب المناجاة... كان ذلك بعد مقدمة البحث وبعده خاتمته، ثم قائمة الهوامش وأخيرا قائمة المصادر والمراجع.

وفي الختام نرجو من العلي القدير أن نكون قد وفقنا لخدمة الهدف السامي وهو التزود من تراث أهل البيت ﷺ والكمال لله وحده والسلام...

Abstract

There are some salient focuses worth mention below :

• In the first section, Munajat is mentioned in the text of the Imam, as found in the title to be defined and described stylistically.

• In the second section, (Monologues) language and terminology are discussed with the functions of stylistic performance, Monologues divided into three parts:

o Graphic function.

o Interactive function.

o Text function.

After defining each function, quotations from the text of the Imam's speech take place.

In the last section, the five performance levels mentioned as: The lexical level, the phonetic level, then the synthesis, the photographic level, and finally the structural level. As mentioned above, after a brief introduction about each level, some citations are taken from appropriate speeches of the monologue .In conclusion, we ask the Almighty that we have been successful to serve the lofty goal of supplying the heritage of the infallibles (peace be upon them) , no perfection but for Allah alone .

المقدمة

الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلق الله أجمعين سيد المرسلين محمد الامين وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين ...

وبعد ... فإن الأسلوب ثقافة يجدر بالأسلوبي فهمها ، فالأسلوب طريقة ومنهج أمّا الأسلوبية فهي تحقيق عملي للأسلوب الأمثل .

ثم الاسلوب فكرة وقاعدة ، والأسلوبية ترجمة عملية وقراءة راهنة وتفاعل بين المرسل والمتلقي ولعلها فنية النص المائز التي تتيح للقارىء التفاعل معها... من ذلك جاءت فكرة العنوان من أجل قراءة أسلوبية لمناجاة الإمام محمد الجواد عليه السلام ، وقد وقف البحث على نمط من أنماط الأسلوبية التي عرفت بالأسلوبية التعبيرية الوصفية التي تنطلق من جوهر بحثي قائم على (تفاعل العقل مع الوجدان)، فبعد أن أوردنا نص مناجاة الإمام أشرنا الى فهم مبسّط للأسلوبية التعبيرية الوصفية في الفقرة الثانية من البحث ، ثم حاولنا وصف المناجاة ، ومعنى الاستخارة لغةً واصطلاحاً ... وفي الفقرة الثالثة أشرنا لوظائف الأداء الأسلوبي للمناجاة التي توزّعت على ثلاثة أقسام، هي : الوظيفة التصويرية ، والوظيفة التفاعلية ، واخيراً الوظيفة النصيّة ... بعد ذلك تناولنا مستويات الاداء الأسلوبي الخمسة ، وهي : المستوى المعجمي، والمستوى الصوتي، والمستوى التركيبي، فالمستوى التصويري، وخُتم بالمستوى البنائي .

وفي ختام هذه المقدمة العَجْلى، فإن هذا البحث المتواضع لم يكن الاّ جهد المُقِل... هدفنا فيه التعلم من دروس الائمة الميامين عليهم السلام سائلين المولى عزوجل أنْ يسدّد خطانا ، وما توفيقنا الا بالله ...

١- نص المناجاة:

((اللهم إنّ خيرتك فيما استخرتك فيه تُنيل الرغائب، وتجزل المواهب وتُغْنِم المطالب. وتطيب المكاسب، وتهدي الى أجمل المذاهب، وتسوق الى أحمد العواقب، وتقي مخوفَ النوائب، اللهم إنّي أستخيرك فيما عَزَمَ رأيي عليه، وقادني عقلي اليه، فسهّل اللهم فيه ما توعَّر، ويسّر منه ما تعسّر، واكفني فيه المهم، وادفع به عنّي كلَّ مُلم، واجعلْ يا ربّ عواقبه غُنْما، ومخوفه سِلما، وُبعَده قربا، وجِد به خْصبا، وأرسل اللهم إجابتي ،وأنجح طلبتي، واقضِ حاجتي، واقطع عني عوائقها، وامنع عني بوائقها، واعطني اللهم لواء الظفر والخيرة فيما استخرتك،ووفور المْغنم فيما دعوتك، وعوائد الإفضال فيما رجوتك، واقرنْه اللّهم بالنجاح، وخصّه بالصلاح، وأرني أسباب الخيرة فيه واضحة، وأعلامَ غنمها لائحة واشدُد خناق تعسيرها وانعشْ صريخ تكسيرها، وبيّن اللهم ملتبسَها، واطلق مُحْتبسهَا، ومكن أسّها حتى تكون خيرة مقبلة بالغنْم مزيلة للغرم، عاجلة للنفع، باقية الصنع ، إنّك مليء بالمزيد مبتدىء بالجُود .)) [1]

مـــدخل

انطلاقا من العنوان (في أسلوبية الخطاب الإبلاغي) نحاول إلقاءَ ضوء أسلوبي حول مناجاة الإمام عبر فهمنا المتواضع للأسلوبية التعبيرية الوصفية، مجسدين- قدر الامكان- إجراءً نقدياً يدور حول تلك المناجاة .

في البدْء لا بد من الإشارة الى ما يمكن أنْ يقصدَ بالأسلوبية لغة فهي مأخوذة من لفظة (أسلوب)، وقد كثرت الآراء حول فكرة (الأسلوب) ومنها: (الاختيار) أي اختيار طريقة الوصول الى معنى معين. وهذا الاختيار إمّا أن يكون عفوياً عابراً أو قصديّاً ممنهجاً لإثراء صياغات النص، وهنا تحوّل الأسلوب الى (الأسلوبية) أي

فهم كيفية اختيار الأسلوب وقراءته قراءة منهجية ، وأسماء الأسلوبيات كثيرة جدا اعتماداً على فهم المهتمين بها ، ويكفي أن نشير الى أن مرادفات الأسلوبية الأدبية وحدها بلغت ستة عشر اسما مرادفا – وقِس ما سواها – أمّا مفهوم الأسلوبية (التعبيرية) فقد قال عنها مؤسسها (شارل بالي)، إنّها :((تدرس وقائعَ التعبير اللغوي من ناحية مضامينها الوجدانية، اي إنّها تدرس تعبير الوقائع عن الحساسية المعبّر عنها لغويا ، كما تدرس فعل الوقائع اللغوية على الحساسية)) [٢] أي إنّها لم يكن هدفها الأساس التعبير الادبي الجمالي ، وإنّما تتناول علاقة اللغة بالفكر المتضمّن لعنصر الوجدان، وسيحاول البحث مقاربتها مع مناجاة الإمام:

٢- في وصف المناجاة الشريفة:

وردت مناجاة الإمام في مصادر إسلامية مختلفة، وقد اخترنا هذه الرواية لدقّتها واشتمالها على مالاخلاف حوله، ونبدأ من العنوان (مناجاة الإمام محمد الجواد عليه السلام للاستخارة اختيارًا .

المناجاة لغة : ورد في معجمات اللغة : ((ناجأ الرجل : صاح ، وما يكون من الدعاء، وأضْرعه، واخْشَعه ...)) [٣] ومصدر (ناجأ): مناجاة، أمّا الاستخارة فهي مصدر (استخار) .

بمعنى طلب الخير في الشي ... وأعظمُ من يُستخار – بلا شك – خالقُ الخلق الرحيم المستعان، يناجيه الإمام، ويتضرّع اليه، في أنْ يهديه الى ما يحبُّ ويرضى وإلى ما فيه الخير والصلاح، وهذه المناجاة درس لنا – دون أدنى شك – في استخارة الله – تعالى – بالامور التي يصعب علينا اختيارها.

توزّعت مناجاة الإمام على ثمانية مقاطع، وكل مقطع يتألف من فقرات متعددة، هذا اللفظ الخطابي (السهل الممتنع) يستدعي القراءة الاسلوبية التعبيرية المتضمنة

للقيم التعبيرية من جهة وظائف اللغة الثلاث ومن جهة مستويات النظام اللغوي الاربعة، وهذا ما ستذهب اليه القراءة.

3- في وظائف الأداء الأسلوبي: توزّعت وظائف الأسلوب في مناجاة الإمام للاستخارة على ثلاثة اقسام هي:

أ – الوظيفة التصويرية:

يتبادر الذهن عند تناول(الصورة) الى معنى الشكل؛ لانّها تعبّر معان المحسوس، اذ ورد في القرآن الكريم : (يا أيّها الانسان، ما غرّك بربك الكريم الذي خلقك فسوّاك فعدلك ،في أيّ صورة ما شاء ركّبك).[٤]، فالصورة في أبسط معانيها: (رسم قوامه الكلمات المشحونة بالإحساس والعاطفة). [٥] فهي تتناول المتكلم وتعبيره عن المعاني الموضوعية عبر فهم المرسلِ وثقافته أو فهم الآخر المتلقي وثقافته المراد التأثير فيه او الغائب المراد تجليته عبر ذلك الأسلوب الى جمهور المتلقين، [٦] ففي الفقرة الأولى الاستهلالية من المناجاة يدعو الإمام الله تعالى بصيغة (اللّهم) فيناجيه بِنيّة خالصة ويفوّض أمره اليه مؤمنا بأنّ الخالق – سبحانه- يُنيل المخلوق (المناجي) رغائبه، ومطالبه – المشروعة طبعا–وقد استعمل الإمام صيغة (أفعل) بمعنى (أفضل) فقال : (أجمل المذاهب) ، (أحمد العواقب). وبعد ذلك يدعو المناجي ربه ليحفظه من النوائب المخيفة، وقد استهل الفقرة بعد الدعاء بالتوكيد مستعملاً الأداة (إنّ) للتعبير عن عمق ايمانه بالخالق ... وفي الفقرة الثانية يبيّن الإمام أنّه فوّض أمره اليه فيما عقد الرأي عليه، أي في قمّة ما وصل اليه عقله، وهو مع ذلك حائر في الإقدام على الامر من عدمه، ويدعو الله – تعالى – أنّ يُنير له طريقه، ويهديه الى سواء السبيل، وقد بدأها أيضا باداة التوكيد (إنّ) للتعبير عن عمق تعلّقه بمناجاته وعمق

ايمانه بلطف خالقه. ثم في الفقرة الثالثة يدعو الله – تبارك وتعالى – أن يسهّل له ما تعسّر من أمره وهنا استعمل صيغة الامر للدعاء والتوسّل، وقد كانت الجمل في الفقرات الثلاث فعلية للتعبير عن الحركة والاستمرارية.

أمّا في الفقرة الرابعة وقد اطاع ربَّه فيما اختاره له، فإنه يدعوه ليجعل عواقب هذا الامر خيرا، ولا يخيب سعيه. أمّا في الفقرة الخامسة فأنه يتوسّل اليه لقضاء حاجته برُمّتها ، ثم يتصاعد بتوسله ليصل في الفقرة السادسة الى طلب الظفر والنصر، ثم الى تلمّس نتائج (الخيرة) بنور ساطع في الفقرة السابعة. وفي ختام المناجاة يرجو ربه ديمومة النصر في الفقرة الثامنة وهكذا كانت الفقرات حتى الأخيرة يستعمل الإمام فيها صيغة فعل الأمر والمعنى للدعاء بجمل فعلية للتعبير عن الديمومة والحركة والتغيّر من الحيرة الى الثبات.

ب- الوظيفة التفاعلية: يستشف عبرها صوت المرسل معبراً عن مكانته في الخطاب الواثق النابع من عمق صلته بالمخاطب من جهة وعميق صلته بمن يريد إيصال الرسالة إليهم من جهة أخرى[٧] والرسالة في هذه المناجاة للمتلقين الذين يعتقدون بأن أقوال المعصوم جزء من السُنّة الواجب اتباعُها، واذا كان المعصوم يدعو الله ويناجيه بهذه الكيفية من التوسّل والتضرّع، فحريٌّ بالأتباع ان يحذوا حذوه وعلى شاكلته من التوجّه والتعبّد والخضوع في لغة الدعاء، وحقيق أنّ توجه المعصوم لم يكن من تلقاء نفسه – مع عظمتها – إنّما هو من وحي بيت النبوة، البيت الرسالي الممتد من الرسول الاعظم الى آخر المعصومين.

ج- الوظيفه النصيّة: وتختصّ بما يؤكد التماسك الدلالي للنص، بَدْءاً بالفقرة وهي موصولة بالسياق العام لبناء النص كلّه وصولاً الى مستوى الجملة موصولة بسياقها[٨]...تناولت المناجاة توجهاً يفصح عن الوظيفة النصية التي ارتكز عليها

النص، نشير اليه بما يأتي :

تكررت جملة النداء في بداية كل مقطع من المقاطع الثمانية وهي ـ اللّهم ـ بمعنى (يا الله) أي استهلّ المقاطع كلها بمناجاة الله –تعالى–، فالمقطعان الاول والثاني يبدآن بعد النداء بتوكيد ضرورة الاستخارة باستعمال (إنّ) التوكيدية، أمّا المقاطع الاخرى فتبدأ بصيغة الأمر لكنْ بمعنى الدعاء وذلك يعبّر عن الشعور بالقرب من المناجى النابع من شدّة الايمان والثقة بالنفس، وقد ختم المناجاة بآخر جملة توكيدية تدلّ على العرفان بالفضل المتضمّن للشكر والتمجيد: (إنّك مليءٌ بالمزيد، مبتديءٌ بالجود) .

٣-في مستويات الأداء الأسلوبي: إنّ تحديد مستويات الأداء الأسلوبي لكلّ نصٍّ ينبغي أنْ يكون صادراً عن النص المدروس نفسه وليس عن المنهج، لا شك في أنَّ هناك تفاعلاً في كل نص مائز بين وظائف الأداء الأسلوبي ومستوياته، ويجدر أن يراعى ذلك عند قراءة كل نص، وفي مناجاة الإمام للاستخارة انبنت القراءة الأسلوبية على خمسة مستويات ،هي:

أ- المستوى المعجمي : تقدّم أنّ الأسلوبية التعبيرية تُعنى بوظيفة لغوية هي التعبير عن الفكر متداخلة مع وظيفة أخرى، هي التعبير عن الوجدان...أي أنّها تبيّن تلاقح لغة العقل مع لغة الوجدان، وذلك لا يظهر جليّاً في أي نص أدبي وإنما في النص المائز الذي يستحق أنْ نصفه باحتقابه معجما خاصا به اذ لا يتضمن النص المتواضع معجما خاصا به ... ومثال ذلك: مناجاة الإمام للاستخارة إذْ نتلمّس عبرها معجما مختصا بها... ففي مجال اللفظ المفرد غلب اللفظ المقترن بالمعنى (أسماء وصفات) على اللفظ المقترن بالزمن (الأفعال): ومثال الاسماء والصفات التي شكلّت نسقاً مميّزاً: ((اللهم خيرتك، يا رب، الخيرة، رأيي عقلي، النجاح، الاصلاح)) أمّا مثال الافعال فهو : ((استخرتك، استخيرك، فسهل، يسّر))، ومترادفات مثل : (إدفع ، جُدْ ،

أعطني)، ومترادفات أخرى :(دعوتك، رجوتك، استخرتك، استخير لك)، لذا كان عدد الاسماء اثنين وسبعين اسما في هذه المناجاة بمقابل اثنين وثلاثين للافعال الماضية والمضارعة والامر، وذلك لأن المناجاة خطاب مرتجل يحتقب نزعة إقناع للمتلقين مع علمنا بأن المناجى هو الله – تعالى–، لكنّنا نعلم أيضاً أنَّ المناجاة دروس للمتلقين ليحذوا حذو إمامهم في مناجاة ربهم وهم يستخيرونه في الأمور الحاسمة في حياتهم. فالمناجاة للاستخارة خطاب معصوم يراد تبليغه للناس كافّة ممّن يستمع القول فيتبع أحسنه، وهذه المناجاة تصلح بطبيعة الحال لكل زمان ومكان، هذا وقد هيمنت ألفاظ معينة وحقول دلالية مخصوصة على معجم النص، فقد جاء خطاب الإمام للخالق بلفظ الجلالة الصريح وكاف الخطاب المهيمن الاول، إذْ ورد بصيغة (اللّهم) سبع مرات والعدد نفسه بصيغة (كاف الخطاب) أمّا صيغة(ياء المتكلم) فقد وردت أربع عشرة مرة مساوية للفظ الجلالة الصريح مع لفظة(كاف الخطاب) الدالة على الذات الإلهية، ثم إنّ الالفاظ الفاعلة في المناجاة يغلب عليها تمجيد الخالق وتأكيد الثقة بهداية مَن يستخيره الى سواء السبيل. ومن امثلة ذلك((خيرتك تنيل الرغائب، وتجزل المواهب وتغنم المطالب، وتطيب المكاسب، وتهدي الى أجمل المذاهب وتسوق الى أحمد العواقب ، وتفي مخوف النوائب ...)) إذْ كان الأسلوب ينبىء عن تصوّر صاحبه للحياة وما بعدها وهو يترجم فلسفته في النظر الى ذلك فإنّ معجم مناجاة الإمام للاستخارة عبّر عن توكّل الإمام على الله في هدايته لاختيار الافضل، ثم بيّن أنّ الاستخارة جاءت تعبيرا عن خلاصة ما هداه عقله اليه، وهذا يبيّن ثقافة الاستخارة إذ تكون عندما يتحيّر الانسان في اتخاذ القرار الصحيح بعد لأي وجهد واستشار لعصارة عقله وتجربته في الحياة، لا الإقدام عليها عند بداية مشوار الاختيار، بعد ذلك يرجو الإمام ربّه أنّ يسهّل له أمره، ويقيه المخاطر، ثم

يدعو الله تعالى أنْ تكون عواقب اختياره خيرا ومن ثم يتصاعد الطلب للوصول الى الظفر والنصر وليس تجنب المخاطر فحسب، وهكذا تتضح أسلوبية المستوى المعجمي من هذه المناجاة عبر توظيف اللفظ لبيانية مقصود بها المعنى بالمقام الاول – أمّا فنية الخطاب فكانت وسيلة لذلك فحسب، ولم يتصف الأسلوب بفائض مجاز لفظي يؤدي الى التأويل اذ إن معجم اللفظ عبر تراكيبه عبّرعن المعنى في ظاهر اللفظ بما يستدعي التبصّر والتأمّل والتفكّر.

ب – المستوى الصوتي: تتميّز المناجاة بأداء صوتي إيقاعي يساعد في إنتاج المعنى وإيضاحه ، ويمكن أن يؤثّر في المتلقي نتيجة فاعلية الاداء الصوتي ... بحسب الأسلوبية التعبيرية ونظرتها للظواهر الصوتية كما عبّر (شارل بالي) فيما يخصّ: (الاصوات المتميّزة وما يتألف منها)، وتعاقب الرنّات المختلفة للحركات، والإيقاع والشدّة، وطول الاصوات، والتكرار ،وتجانس الاصوات المتحركة والساكنة،وما الى ذلك ...)[٩] وقد توافرت مناجاة الإمام على فاعلية صوتية حدّدت الأداء الأسلوبي لها، ومن أوجهه: إيقاع تكرار الفعل المضارع في الفقرة الأولى دون ذكر الفعل الماضي أوفعل الامر، فقد ورد الفعل المضارع بواقع تسع مرات أعقبها مرة واحدة في مستهل الفقرة الثانية ليحقّق أداءً صوتياً يجعل أسلوبيته تعبّر عن الزمن الحاضر والمستقبل ، وطالما كانت المناجاة عبارة عن دعاء لله – تعالى– فإن أسلوبية التعبير تؤكد أنّ المعنى المعبّر عنه يتواصل في الزمن من الماضي الى المستقبل ... فكان الأداء الصوتي في الفقرة الاولى يكثف اللحظة ببنية صوتية للجملة الفعلية بـ (الفعل المضارع) بتسع مرات كما تقدم، وبشكل متتالٍ : (تنيل الرغائب، تجزل المواهب، تغنم المطالب، تطيب المكاسب، تهدي الى أجمل المذاهب، تسوق الى أحمد العواقب،تقي مخوف النوائب ...))

وفي الفقرة الثانية جاء الأداء الصوتي ليؤكد اطمئنانه وثباته فيما يدعو اليه قبل بدء المناجاة، فكانت الجمل الفعلية بـ(الافعال الماضية) تتكرر بواقع ثلاث مرّات: ((استخرتك، فيما عزم رأيي عليه، وقادني عقلي إليه...)) .

وقد استهلّ هذا المقطع بمناجاة الله تعالى:(اللّهم) ثم اتبع ذلك بتأكيد الكلام بـ(إنّ)، وكان هذا التناسق بالمفردات على هيئة جمل قصيرة منتظمة الأصوات تبعث على تثقيف المتلقي لمناجاة الإمام على ضرورة التوسل بالله، وقد انتهت فقرات المقطع بسجع خفيف على السمع محبب اليه (عليه ، إليه ...)، أمّا في المقطع الثالث فقد استعمل فعل الأمر مقدّماً على مناجاة الله- تعالى- (اللّهم) في معرض الدعاء عند بداية كل فقرة: (فسهّل، ويسّر،...) وختم كل فقرة بفعل ماض :(ما توعّر، ما تعسّر)) وهذه الالفاظ تهدف الى التأثير في المتلقي عبر انفعال الجملة بأصوات معينة، وكلّ ذلك جعل أسلوبية الصياغة المرتجلة مؤكِدة تميّزاً في الخطاب نابعاً من تميّز المرسِل (المناجي) ومعبرة عنه.

ج - المستوى التركيبي: العناصر الأسلوبية في المستوى التركيبي الغالبة في النص تنبيء عن خصوصية في أسلوبية التعبير؛ لذا تجدر ملاحظة تراكيب النص: أهي اسمية غالبا ام فعلية؟ ، ثم نوع الجملة كيف كان؟ أأهي طويلة غالباً أم هي قصيرة؟، بسيطة أم مركبة؟ استفهامية ام خبرية ؟، وكذا أساليب التقديم والتأخير، والحذف والذكروالتكراروأسلوب النداء والإيجاز...على أنّ الاساليب القليلة التكرار ربما تدلّ على ثراء المعنى، وتميّز الاسلوب... [١٠] أمّا نوعية الجمل في مناجاة الإمام فكانت غالباً فعلية، إذْ بلغ عدد الجمل الفعلية فيها أربعاً وثلاثين جملة مقابل ثلاث جمل اسمية فقط، وعلّة ذلك أنّ المناجاة ارتجالية- بطبيعة الحال – فهي تحتاج الى عدم سكون الازمنة، بل إلى حركتها وإثارة أبعادها الدلالية. ثم أنّ تلك الجمل الفعلية غالبا ما يكون فعلها أمراً، فقد بلغت أفعال الامرفي النص عشرين فعلاً لكنّها جميعا

تحمل صيغة الأمر، أمّا معناها فليس كذلك لانّها تدلّ على الدعاء في مناجاة الله – تعالى – ، ولانّ الامر الحقيقي يحمل معنى الالزام الذي يصدر من الاعلى الى الادنى، والذي يحتمل واجب القبول، أوأن تجعل المتلقي بين القبول والرفض حسب العلاقة بين المرسِل والمتلقي ،وقد وردت صيغة واحدة من صيغ أسلوب الأمر، وهي صيغة فعل الأمر، ولم ترد صيغ الأمر الأخرى، وهي:المصدر النائب عن فعل الأمر، والفعل المضارع المسبوق بلام الأمر، واسم فعل الأمر،وذلك لشيوع صيغة فعل الأمر بالنسبة إلى الصيغ الأخرى .

وتأتي الافعال المضارعة بالدرجه الثانية، فقد بلغت تسعة أفعال إذْ تتطلّب الحاجة الحركة مقابل السكون في الفعل الماضي الذي بلغ عدده خمسة فقط لتدلّ على مراجعة الفعل السابق وتدبّره ومدى علاقته بالحاضر وتأثيره فيه.

أمّا أسلوب التقديم والتأخير فاقتصر على تقديم شبه الجملة على المفعول به، ((فسهّل اللّهم فيه ما توعّر)) فقدم شبه الجملة (فيه) على المفعول به (ما)، وكذا ((ويسّر منه ما تعسّر))، و((واكفني فيه المهم)) و((ادفع به عني كلّ مُلِم)) ...

وذلك لانّ المعنى يراد منه التركيز على ضمير (الهاء) في شبه الجملة (منه،فيه ،له) وهو ما يدلّ على العقدة التي جاءت في المناجاة من أجل تجاوزها وتيسيرها وتقدمت على (المفعول به)، ثم ظهرت حالات تقديم وتأخير أخرى ، وهي تقديم فعل الامر المعبّر عن الدعاء على المنادى (المناجى)، مثل: ((واجعلْ يا ربّ عواقبه...)) و((وارسل اللهم أجابتي...)) و((واعطني اللهم لواء الظفر ...)) وما ذلك التقديم الاّ تعبير عن شدّة الحاجة وغاية التوسل والاطمئنان الى رحمة المناجى وعفوه، إذْ إنّ قصد الموضوع هو تحقيق الهدف المتمثل بالرأي الخيّر الذي يتمنّى المناجي الوصول اليه ،عبر دعوته الله – تعالى– أنْ يهديه إليه لذلك قدّم فعل الطلب – الداعي الى

الهدف صراحة – على المنادى (المناجى) وقدّمه مرة أخرى مقروناً بالضمير الدال على الهدف، فمثال الحالة الاولى: ((واعطني اللّهم لواء الظفر)) أمّا الثانية فمثالها: ((واقرِنْه اللّهم بالنجاح)).

وأمّا عن أسلوب الايجاز فكان تكثيف المعنى حاضراً بوضوح لافت لانتباه المتلقي، ومن الامثلة على ذلك: ((تهدي الى أجمل المذاهب)) و((تسوق الى أحمد العواقب))، و((قادني عقلي إليه)) ... فكانت الجمل غالباً قصيرة وبسيطة غير مركبة.

ويرد الإيجاز غالباً في الجمل الاسمية لاستقرار المعنى زمكانيا،أمّا في هذا النص فقد جاءت الجمل الدالّة على الايجاز فعلية – والفعل يحوي زمناً معيناً ... ووجهة نظر الباحث في ذلك أن المخاطَب في هذه الجمل خالقُ الخلق لا يحدّه زمان ولا مكان، وقد وسعت رحمته كل شيء ماضياً وحاضراً ومستقبلاً .

أمّا عن أسلوب النداء فقد ورد في المناجاة في بَدْء كل مقطع لفظٌ بصيغة (اللّهم)عدا الرابع فكان بصيغة (يارب) وذلك لتأكيد معنى المناجاة ولأهمية الحدث الذي من أجله وردتْ، فكان النداء (المناجاة) بحق هو الأسلوب المهيمن في النص. أمّا أسلوب التكرار فالغرض منه إمّا لتاكيد المعنى في ذهن السامع وإمّا لجمالية الموسيقى وبخاصة في الشعر، فقد تكرر معنى الاستخارة بصيغ مشتقّة منها، فكانت في البدْء ((اللهم إنّ خيرتك فيما استخرُتك)) ذلك في المقطع الاول وفي الثاني كانت صيغة (استخيرك) وفي المقطع السادس كرّر: (فيما استخرتك))، ثم كرّر معناها بلفظ آخر في المقطع ذاته، فقال: ((فيما دعوتك))... وفي كل ما تقدم كان التكرار فيه بصيغة فعلية عدا ما ورد في المقطع الاول والأخير فقد كرر ذلك بصيغة المصدر: ((حتى تكون خيرة)) .. و((إنّ خيرتك)، وأخيراً ورد أسلوب التوكيد وكان صريحاً بإعمال الأداة (إنّ): ((إنّ خيرتك

)) في المقطع الاول، ثم باقتران الاداة بضمير المتكلم في المقطع الثاني: ((إنّي))، وفي المقطع الاخير كان اقترانها بكاف الخطاب: ((إنّك)).

وقد ورد سابقا أنّ من أهم مقاصد أسلوب التكرار هوالتأكيد، وكل حالات التكرار السابقة تندرج تحت حقل أسلوب التوكيد اللفظي، بالإضافة الى ذلك كان التوكيد المعنوي بتكرار عبارات مختلفة لفظاً متفقةً معنًى وهي جميعها تؤكد قصدية المناجاة وهي استخارة الله– تعالى– فيما يتحيّر به العبد عند اتخاذ موقف حاسم ... ومثال ذلك: ((عزم رأيي عليه، وقادني عقلي اليه...)) وتكرار أسلوب التوكيد في النص يدلّ على مدى اهتمام الإمام المعصوم بأمر الاستخارة حتى لايَحار المكلّف ليحصل له الاطمئنان أولاً، وثانياً: لجسامة الأمور المهمة والعظيمة أحياناً دنيوياً وأخروياً فيما تستحق الاستخارة .

أمّا عن أسلوب الاستفهام والإخبار فكانت جمل المناجاة كلها خبرية، ولم تحوِ المناجاة جملة استفهامية واحدة، وذلك لان الاستفهام هو محاولة معرفة شيء مجهول بالنسبة للمستفهِم الذي يستعمل هذا الأسلوب لتحقيق الإثارة عند المتلقي و ثم الاستجابة.

وقد يهدف الاستفهام الى خلق حالة عدم الأطمئنان في ذهن المتلقي ... وذلك عندما يكون المخاطَب إنساناً... أمّا عندما يكون المخاطَب ربّ العباد والهدف هو استخارته بعد حيرة وعناء فلا حاجة للإثارة قطعاً ، فهو عالم بما في الصدور، ولا معنى لحالة عدم الاطمئنان ... لذلك كانت جمل المناجاة جميعها خبرية، أمّا نوع الجمل من حيث القصر والطول فكانت غالباً قصيرة لوضوح الهدف.

وتجدر الاشارة الى أنّ اساليب أخرى كثيرة أخرى لم ترد في المناجاة لانتفاء الحاجة إليها.

أمّا عن الفصل والوصل فهو من موضوعات البلاغة البالغة الأهمية، إذْ إنّ علوم

البلاغة في أكثرها تتناول الخصائص الفنية في الجملة الواحدة أو في البيت الشعري الواحد على انفراد، أمّا (الفصل والوصل) فيتناول علاقة الجمل ببعضها لما لذلك من اهمية فائقة جعلت أحد كبار علوم البلاغة يصف الموضوع بأنّه (حدّ البلاغة): ذلك ابو علي الفارسي

(ت ٣٧٧ هـ) وقد سئل : (ما البلاغة ؟ قال : معرفة الفصل من الوصل) [١١] .

وقد رأى عالم آخر من علماء العربية أنّ موضوع (الفصل والوصل) لا يتوافر عليه إلاّ الأعراب الخلّص ... ذلك هو عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧٤هـ) إذْ قال :((إنّ العلم ما ينبغي أنْ يصنع ما في الجمل من عطف بعضها على بعض ، أو ترك العطف فيها والمجيء بها منثورة تستأنف واحدة منها بعد أخرى من أسرار البلاغة ومما لا يتأتّى لتمام الصواب فيه إلاّ الاعراب الخلّص وإلاّقوم طبعوا على البلاغة)) [١٢] .

والفصل لغة : هو مصدر الفعل فَصَل يفْصِل فَصْلاً ، والفصل بون ما بين الشيئين . [١٣]

أمّا الفصل اصطلاحاً فهو أنْ تأتي جملتان فأكثر بالتعاقب دون حروف عطف أو ربط لفظي بينها وذلك لاحد سببين: إمّا لاتحاد هذه الجمل بالمعنى والمبنى أو لانعدام الصلة بينهما تماماً.[١٤]. والوصل لغة : هو(مصدر الفعل وصل ، يصل ، وصلاً ، وصلة) [١٥]فهو خلاف معنى الفصل .

أمّا الوصل اصطلاحاً فهو:((عطف جملة فأكثر على جملة أخرى (بالواو) خاصة ، لصلة بينهما في المبنى والمعنى ، أو دفعاً للبس يمكن أن يحصل))[١٦] .

فالوصل بين الجمل ينبغي أن يكون بأداة العطف (الواو) حصراً لأنها تفيد إشراك المعطوف في حكم المعطوف عليه فقط ، أمّا حرف العطف (الفاء) أو (ثم) أوغيرها فإنها تفيد ((مع التشريك شيئاً زائداً كالترتيب في (الفاء) ، والتراخي في (ثم) ...))[١٧] .

مما تقدّم يتبين أنّ مواضع الفصل تتحقق بكمال الاتصال أو كمال الانقطاع أو شبه كمال الاتصال، ثم أنّ كمال الاتصال يتحقق بوسائل ثلاث، هي: التأكيد ، والبدل، والبيان .

يلحظ في مناجاة الإمام للاستخارة عدم ورود الفصل بين الجمل ألاّ في خاتمتها ، بقوله عليه السلام : (أنّك مليء بالمزيد ، مبتديء بالجود) فقد فصلت الجملة الثانية عن الاولى لغرض تفصيل المعنى العام في الجملة الاولى ضمن البيان وهو: ((أنّ يكون في الجملة الاولى إجمال لامور عدة تحتاج إلى تفصيل فتأتي الثانية لتفصيل هذا الإجمال))[١٨] .

فالمعنى العام في الجملة الاولى (المزيد) وقد جاء التفصيل في الجملة الثانية: (مبتدئ بالجود)، فالمزيد من معانيه الجود .

أمّا مواضع الوصل في مناجاة الإمام فكانت هي الطاغية بين جملها وقد توزّعت بين أتفاقها خبراً أو انشاءً لفظاً ومعنى فجمل الفقرتين الاولى والثانية خبرية في حين جمل الفقرات الاخرى كانت انشائية .

هـ – المستوى التصويري : إنّ للغة وظيفتين بحسب الأسلوبية التعبيرية هما : التعبير عن الفكر والتعبير عن الوجدان ، فالتعبير عن الوجدان هو من مهمة الصورة الفنية بوصفها تلك التي تقدّم تركيبة عقلية ، وعاطفيةً في لحظة من الزمن))[١٩]. وللصورة الفنية أنماط منها الحسية ومنها الذهنية، فعلى صعيد المستوى التصويري لمناجاة الإمام في الاستخارة كان للصورة الذهنية ، حضور متميز لأنّها تتناول الجانب العقلي في الإقناع لتبعث على التأثير الإنساني الوجداني لمتلقي هذه المناجاة ،ولم يجرِ التركيز فيها على الجانب الفنّي التأويلي فقط.

أمّا اصطلاحاً كما عند علي بن محمد الجرجاني (ت ٨١٦ هـ) فهو : ((الاستعداد التام لإدراك العلوم والمعارف بالفكر.))[٢٠] ومن الذهن تتكون الصورة الذهنية

أي لا تدرك من طريق الحواس وإنّما تدرك عن طريق الذهن، ومثال ذلك : ((اللّهم إنّ خيرتك فيما استخرتُك فيه تنيل الرغائب وتجزل المواهب .... فسهّل اللهم فيه ما توعرّ واعطني اللهم لواء الظفر..)) أشار الإمام فيما تقدّم إلى الثقة المطلقة في استخارة الله – تعالى – ،فمن يلتزم بما اختاره الله سينال ما يرغب ... ثم يطلب من الخالق أنْ يسهّل أمره ويزيل التوعّر عن طريقه وصولاً لقصده، ففي جملة (أعطني – اللهم – لواء الظفر) جعل الإمام للظفر وهو الشيء المعنوي (لواءً) وهو عنصر مادي ، فاستعارلفظة (لواءً) من ميدان المعارك حين يُرفع بعد النصر، ليقرّب الى ذهن المتلقي : أنّ الله – تعالى– إذا أعطاه ما استخار لأجله سيكون كالظافر في المعركة. وفي جملة (خيرتك فيما استخرتك تنيل الرغائب) جعل الإمام (الخيرة) وهي العنصر المعنوي بوساطة الاداء المجازي عنصراً ماديا : ((يعطي، وينيل، ويهب الرغائب))، ليقرّب الصورة الى المتلقي، وقد ترك قرينة تدلّ على أنّ الأداء خياليٌ مجازيٌ تمثلّت بـ (كاف) الخطاب في (خيرتك) وقد وردت صورة تشبيهية في قوله عليه السلام :

(واجعل ياربّ عواقبه غُنْما) فقد شبّه (العواقب) وهي خواتيم الاموروومنتهاها بـ (الغنائم) وهذا يتصل بنيويّاً بصورة (لواء الظفر) انطلاقاً من استدعائهما من (ميدان الحرب) الى ميدان المناجاة التي قيلت بين يدي (الاستخارة)، وهنا تتّضح دقّة تصوير الإمام (لحيرة العبد قبل الاستخارة) وتشبيه ما يحصل معه في الدنيا بالمعركة التي قد ينال فيها الظفر ... وهكذا نلحظ أسلوب بيت النبوة الذي يحاول الايضاح بالصورة اكثر من التفنن بأسلوبية تعبيرية كاشفة عن فكر رسالي ووجدان انساني خالص لله .

و – المستوى البنائي: استمراراً لفهم الاسلوبية التعبيرية بتلازم لغة العقل مع لغة الوجدان في تفاعل متبادل فإنّ مناجاة الإمام تعبّر عن بعض ذلك ، وهي تنتمي

لبلاغة المعصومين من أهل البيت عليهم السلام ليكون بناؤها مقصوداً بمعان مترابطة دالّة ، ومن مستهلها الى خاتمتها ، لتؤكد ثوابت عقائدية مستندة لفهم المعصومين للشريعة ... لذا نجد المناجاة قد توزّعت على ثماني فقرات:

١-في الأولى بيّن فيها الإعلان عن الاستخارة ((اللهم إنّ خيرتك ...)) ثم اطمئنان الإمام إلى أنّه ما خاب من تمسّك بخيرة الله تعالى.

٢- وفي الفقرة الثانية بيّن أنّ الاستخارة تكون في خلاصة ما يصل اليه الانسان من رأي بعد إعمال عقله وتجربته : ((اللهم إنّي استخرتك فيما عزم رأيي عليه ....)) فإمّا أنْ يأخذ به أو يتركه،أوأنْ خلاصة فهمه أوصلته الى أمرين أو طريقين لا يدري ما يختار ، فيترك الخيرة لله تعالى .

٣ – في الفقرة الثالثة : يدعو الله أنْ يسهّل له أمره ،ويزيل عن طريقه المصاعب : ((فسهّل اللهم فيه ما توعرّ ...))

٤ – أمّا في الرابعة : فإنّه يتوسّل الى الله أنْ تكون العاقبة على خير: ((واجعل يا رب عواقبه غُنْما ...)) أي غنيمة .

٥ – وفي الفقرة الخامسة : يصل في دعائه الى طلب النجاح – أي تحقيق الهدف – ((وأرسل اللهم إجابتي وانجح طلبتي ...))

٦ – و في السادسة يرجو الله تعالى أنْ يحقّق له لواء الظفر ... والنصر المؤزّر تعبيراً عن مدى أهمية هذا الرأي في حياته ، فهو يريد الغَلَبَة ، وليس مجرد النجاح : ((واعطني اللّهم لواء الظفر..)) .

٧ – وصولاً الى الفقرة السابعة التي يريد بها رؤية نتائج هذه الخيرة واضحة لا لبس فيها : ((وأرني أسباب الخيرة فيه واضحة ...)) .

٨- أمّا في الفقرة الأخيرة فإنه عليه السلام يدعو للنتيجة العاجلة المكللّة بالنفع ، والمستمرة

في صلاحها وريعها : ((عاجلة للنفع ... باقية الصنع ...))

ما تقدّم من تسلسل فقرات المناجاة يوضح لنا خصوصية أسلوب المعصومين في الإبلاغ للتعبير عن المعنى بألفاظ منتقاة تؤكد أسلوب المعنى وأسلوبية الألفاظ الداعية الى التأمّل والتثبّت .

الخاتمة

بعد أن أشرفت رحلة أسلوبية مناجاة الإمام محمد الجواد ﷺ على النهاية لا بدّ لنا من الوصول الى نتائج لتكون ختاماً لموضوعنا ، والنتائج هي :

❁كل عمل إبداعي أدبي لا بد له من فن أسلوب أي أسلوبية تتيح للقارئ المتخصص المائز التفاعل مع هذا العمل ونقده نقداً أسلوبياً .

❁الاسلوبية الوصفية التعبيرية تعنى بالتعبير عن تفاعل العقل والوجدان تعبيراً لغوياً عن فكرة يريد الأسلوبي إيصالها (للمتلقي) القارىء .

❁مناجاة الإمام محمد الجواد ﷺ للاستخارة استمرار للخطاب الرسالي لأهل البيت ﷺ ذلك الخطاب الناصع البيان الذي يصلح – دون أدنى شك – متناً تطبيقيا لافتاً لمنهج الأسلوبية التعبيرية الوصفية .

❁من جملة ما أخذنا (وبقدر فهمنا) من مناجاة الإمام هو حسن التضرّع للخالق (عزوجل) دائماً لاسيما عند الملمّات ليهدينا الى الضالّة المنشودة .

❁وما تعلمنا أيضاً من المناجاة أنّ استخارة الله – تعالى – تكون بعدعناء وجهد للوصول الى الرأي السديد إنهاءً للحيرة .

❁طالب الاستخارة يعبّر تعبيراً تلقائياً عن عمق إيمانه بخالقه فهو يتوجه إليه طالباً الاخذ بيده نحو بر الأمان .

❁وفي الختام ما سطّرناه من كلمات حول المناجاة محاولة لفهم جانب من جوانب دروس مدرسة أهل البيت ﷺ .

الهوامش البحث

١- مهج الدعوات ومنهج العبادات ، رضي الدين بن طاووس(ت ٦٦٤ هـ) ، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، لبنان ، ١٤٢٦ هـ

٢- الاسلوب والاسلوبية ، بيارغيرو- تح : منذرعيّاش ، مركز الانماء القومي ، ط١،بيروت. (د.ت)٨٩_٩٠ .

٣-لسان العرب ،ابن منظور ، دار صادر ،بيروت ، ط٣ ،ج١٤ ، ٢٠١٠م .

٤-سورة الانفطار : الآيات : ٦-٨ .

٥- الصورة الشعرية ، سيسل دي لويس ، د. أحمد نصيف الجنابي وآخران ، مراجعة: د.عناد غزوان، دار الرشيد للنشر ،بغداد،١٩٨٢م : ٢٣.

٦-ينظر : الأسلوبية بوصفها مناهج_الرؤية والمنهج والتطبيقات ، د. رحمن غركان ، الدار العربية للعلوم – ناشرون ، بيروت ،٢٠١٤ : ٥٨ .

٧- ينظر: م.ن : ٦٤ .

٨- ينظر : م.ن:٦٦.

٩-علم الأسلوب وعلم اللغة العام ، شارل بالي ، تح : د. شكري عيّاد ، دار العلوم، الرياض ط١،١٩٨٥م:٣٢ .

١٠-الأسلوبية بوصفها مناهج:٧٤.

١١-كتاب الصناعتين الكتابة والشعر ، أبو هلال العسكري(ت ٣٩٥ هـ) ، تح : علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، ط١ ، المكتبة العصرية ، صيدا لبنان ، ٢٠٠٦ م :٤٠٦.

١٢- دلائل الإعجاز ،أبو بكر عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧٤ هـ)، تح : محمود محمد شاكر ، ط٣ ، دار المدني، جدة ، ١٩٩٢م : ٢٢٢ .

١٣- ينظر : لسان العرب ، مادة(فصل) : ٣٤٢٢

١٤-ينظر : الكافي في علوم البلاغة العربية ، المعاني – البيان- البديع ، عيسى علي العاكوب وعلي سعد الشتيوي ، ط١ ، الجامعة المفتوحة ، بنغازي ، ١٩٩٣م : ٢٩٨ .

١٥-لسان العرب مادة (وصل) : ٤٨٥٠ .

١٦- الكافي في علوم البلاغة العربية : ٢٩٨ .

١٧-الفصول المفيدة في الواو المزيدة ، صلاح الدين خليل بن كيكدي العلائي (ت٧٦١هـ) تح :

حسن موسى الشاعر ، دار البشير للنشر والتوزيع ، ط١ ، عمان ، الاردن ، ١٩٩٠م:١٢٨ .
١٨-معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، د. أحمد مطلوب ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ١٩٨٧م :٣/ ١٢١ .
١٩-التصوير النفسي للأدب، د. عز الدين اسماعيل ،دار العوددة ، بيروت ، (د.ط) ، (د.ت) :٧١ .
٢٠-التعريفات ، علي بن محمد الجرجاني ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد.(د .ت): ٢١.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

*الأسلوب والأسلوبية ، بيار غيرو ، تح : منذر عيّاشي ، مركز الانماء القومي ،ط١ ، بيروت ، (د.ت) .

*الأسلوبية بوصفها مناهج ، الرؤية والمنهج والتطبيقات ، د. رحمن غركان، الدار العربية للعلوم ، ناشرون ، بيروت،٢٠١٤ م .

*التصويرالنفسي للأدب ، د.عزالدين أسماعيل . دار العودة ، بيروت ، (د.ط)، (د.ت).

*التعريفات . علي بن محمد الجرجاني،(ت ٨١٦ هـ)، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، (د.ت) .

*دلائل الإعجاز،أبو بكر عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧٤ هـ)، تح : محمود محمد شاكر ، ط٣ ، دار المدني، جدة ، ١٩٩٢م .

*الصورة الشعرية ، سيسل دي لويس ، تر:د. أحمد نصيف الجنابي وآخران ، مراجعة:د.عناد غزوان،دار الرشيد للنشر ،بغداد،١٩٨٢م .

*علم الأسلوب وعلم اللغة العام ، شارل بالي ،ت : د. شكري عيّاد ، دار العلوم ، الرياض ،(ط ١)،١٩٨٥ م .

*الفصول المفيدة في الواو المزيدة ، صلاح الدين خليل بن كيكدي العلاني (ت٧٦١هـ) تح : حسن موسى الشاعر ، دار البشير للنشر والتوزيع ، ط١ ، عمان ، الاردن ، ١٩٩٠م .

*الكافي في علوم البلاغة العربية ، المعاني البيان- البديع ، عيسى علي العاكوب وعلي سعد الشتيوي ، ط١ ، الجامعة المفتوحة ، بنغازي ، ١٩٩٣م .

*كتاب الصناعتين ، الكتابة والشعر ، أبو هلال العسكري(ت ٣٩٥ هـ) ، تح : علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، ط١ ، المكتبة العصرية ، صيدا ، لبنان ، ٢٠٠٦ م .

*لسان العرب ،ابن منظور ، دار صادر ،بيروت ، ط٣ ،ج١٤ ، ٢٠١٠م .

*معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، د. أحمد مطلوب ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ١٩٨٧م .

*مهج الدعوات ومنهج العبادات ، رضي الدين بن طاووس(ت ٦٦٤ هـ) ، منشورات مؤسسة الاعلمى للمطبوعات ، بيروت ، لبنان ، ١٤٢٦ هـ .